

حوار سعودي مع «أنصار الله»

■ حميدي العبدالله

قلت وكالة «بلوم بورغ» عن ولي ولي عهد المملكة العربية السعودية محمد بن سلمان قوله إنَّ الحرب اليمنية تقترب من نهايتها، وإنَّ وفداً من حركة أنصار الله موجود في الرياض. ولكن مسؤولاً في حركة أنصار الله نفى وجود وفد من الحركة في الرياض. وبمعزل عن صحة أو عدم صحة وجود وفد من حركة أنصار الله في الرياض، إلا أنه لا يمكن تجاهل الإعلان الصادر عن قيادات رفيعة في حكومة المملكة العربية السعودية، بوزن محمد بن سلمان الذي يعتبر المهندس الرئيسي للحرب اليمنية، فهذا الإعلان يأتي بعد أسابيع قليلة على اتفاق مبرم بين حركة أنصار الله والمملكة العربية السعودية تمَّ بموجبه تبادل للأسرى ووقف الأعمال العسكرية على الحدود بين اليمن والسعودية، وقد صمد وقف إطلاق النار حتى وإنَّ كانت هناك بعض الخروقات، ومن أبرزها هجوم الجيش السعودي لاستعادة مدية الربوعة.

في هذا السياق يمكن أخذ تصريحات بن سلمان عل محمل الجِدِّ، حتى وإنَّ كانت ثمة اعتبارات وحسابات سياسية تدفع حركة أنصار الله لإصدار نفي لما جاء لجهة الحفاظ على التحالف القائم بين أنصار الله وبين أنصار الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح. لكن الأمر الهامُّ في تصريحات بن سلمان ليس كشف النقاب عن وجود وفد من حركة أنصار الله في الرياض مع ما ينطوي عليه هذا الخبر من دلالات، بل إعلانه أنَّ الحرب اليمنية تدخل نهايتها، فهل هذا التقدير مجردُ حملة علاقات عامة، أم أنه يعبرُ عن وجهة الأحداث في الفترة المقبلة؟

من الواضح أنه يعبرُ عن وجهة الأحداث في الفترة المقبلة، وذلك في ظل استقرار العمليات العسكرية وعدم القدرة على تحقيق نصر حاسم من قبل كلا الطرفين المتحاربين، وعندما يتعذر على أيِّ طرف حسم الصراع لمصلحته ينجح إلى البحث عن حلول وتسويات، واليوم الطرفان المتحاربان عاجزان عن الحسم، إضافةً إلى ذلك، إنَّ خطر تنظيم «القاعدة» بات يهدِّد المناطق التي تمَّت السيطرة عليها من قبل قوات «التحالف العربي» بقيادة السعودية، وواضح أنَّ التطورات في هذه المناطق لا تبشِّر بالخير بالنسبة للمملكة العربية السعودية التي تقود الحرب على اليمن، ناهيك عن النزاعات الثابتة والمتجدِّدة داخل فريق الرئيس عبد ربه منصور هادي، وكان آخرها قرار عزل نائبه ورئيس وزراره واستبداله بمسؤولين آخرين.

ما تقدِّم يؤكد أنَّ الحرب اليمنية، فعلاً هي في نهايتها جيدة المعارك الدائرة بين حركة أنصار الله وأنصار الرئيس علي عبدالله صالح من جهة، وقوات التحالف العربي بقيادة السعودية من جهة أخرى، ولكن الأزمة اليمنية قائمة ومستمرَّة بعد تصاعد دور القاعدة الذي بات يمثل تحدياً جديداً للجمع.

أزمة الصحافة

- بجري الحديث عنبرُ عن تعرُّض صحفٍ لبنانيةٍ لخطر الإقفال، والسبب يعود إلى تحوُّلات ثلاثة... أولها أنَّ سوق الإعلان صار للتقنيونات، وثانيها أنَّ سوق البيع لم يعد مجدداً في زمن الانترنت، وثالثها أنَّ التناقض المالية السياسية تتصاعد باستمرارٍ في زمن أزمة الخليج السياسية المرعبة سياسياً لمن يتبعها وحسبحة مالياً لمن يعتمدها.

- الصحافة اللبنانية منبر عربي ومعلم من معالم حضور الحريات وشراكة الرأي العام في السياسة، ولا تزال تمثل رغم أزمة النقافة والمثقفين نوعاً من الضمير الجمعي العابر للوطائف لإقامة نسبة توازن مع السلطات. - الدولة معنية بالمساعدة رغم الوضع المالي السيئ، معلوم بأن تستبدل العطاءات بمجموعة من الإغراءات من رسوم على استيراد الورق وإعفاء موظفي الصحف من رسوم الضمان الإجتماعي والمطابع من نسبة من فواتير الكهرباء والصحافيين من نسبة من بدل الخدمات الهاتفية وتحسين شروط نشر الإعلانات الملزمة للمصارف والشركات والعقارات والمناقصات ومنح الصحف امتيازات مجانية لتوزيع خدمات إعلامية وإعلانية على الهاتف الخليوي وسواها.

- السؤال لأصحاب الصحف طالما هي مؤسسات شأن عام لماذا لا تلتحز للاكتتاب الشعبي الذي أنقذ صحفاً عالمية كبرى؟

التعليق السياسي

الأسد...ومعركة «داعش» الأخيرة

■ دخيام الزعيبي

رغم شدة المعارك التي تخوضها سورية هذه الأيام ضدّ داعش وعناصره الإرهابية وضغوط الفترة التي قد يستغرقها الحسم العسكري في هذه المواجهات المفتوحة لعمليات عديدة، منها دعم الدول الغربية ومساندتها لداعش ومواقفها المناوئة للإرهاب، رغم ذلك فإنّ الرئيس الأسد بدا واثقا بأن بلاده قادرة على كسب هذه المعركة وتحقيق الانتصار على عناصر الإرهاب والتطرف التي قال إنها من توافدت على سورية من مختلف بقال العالم، مؤكداً على أنّ أكبر خطر تتعرّض له سورية هو تنظيم «القاعدة»، خصوصا بعد أن اتجه هذا التنظيم إلى تغيير استراتيجيته وتصعيد عملياته عن طريق الغنديات والتخريبات المفخخة.

فعلى وقع أصداء نجاح الجيش السوري بدعم جوي روسي في تحرير مدينة تدمر من قبضة تنظيم داعش، فقد أعلن الرئيس الأسد أنّ الخطوة المقبلة هي تحرير دير الزور ومناطق عديدة، منها دعم الدول العربية ومساندتها عن تنسيق عسكري «روسي-أميركي» لدعم العمليات، فالذي حدث في تدمر، يمثل تحولا استراتيجيا كبيرا في المنطقة، ولعللي لا يبالغ، إن أقول إن تحرير هذه المدينة، سيحتول إلى لحظة تُؤرِّخ بها التحولات في المنطقة، فالإرهاب الذي زحف من مختلف المناطق السورية، هذا التمدّد «الداعشي»، ستكون مدينة الرقة نقطة النهاية بالنسبة له، لأسباب عدة منها، صور القتلى من الدواعش وهي مكندسة على العريات أو في المستشفيات، وصور المعتقلين منهم، بالإضافة إلى فرار قادتهم إلى المناطق الأخرى، في إطار ذلك يمكن استخلاص أمرين في غاية الأهمية من العملية، أولهما، أنّ المناطق التي كان من الصعب على الجيش السوري الدخول فيها والمواجهة المباشرة والاكتفاء بضربات الطيران، أصبحت لديه القدرة على الدخول والمواجهة ما يعني سيطرته القوية على التنظيم وضعف «داعش»، وأنّ الثاني هو تغيير الاستراتيجية الجيش واعتماده على الكمان المتحرّجة خاصة التي يتمّ وضعها في المناطق التي تمّ تحريرها والسيطرة عليها، ما يعني نقاط قوّة جديدة في مواجهة التنظيمات الإرهابية والوقى المتطرفة في مختلف المناطق السورية.

في ذات السياق يمكن القول إنّ داعش سنتتهي بمعركة قريبة في مدينة الرقة، خاصة بعد أن حسم الجيش السوري معركة مدينة تدمر والمناطق المجاورة ذات الأهمية الاستراتيجية، ليس لرمزيتها التاريخية فقط، وإنما كونها مركز البادية السورية، أهمّ معاقل داعش، إضافة إلى الموارد الأخرى، بعد أن تمّ قطع الإمدادات بين العراق وسورية وبين سورية وتركيا وتشديد الحصار عليه من قبل الجيش السوري، فهو يعاني الآن من صمار خائق وقلّة موارد وقطع طرق الإمدادات العسكرية والنقطيّة.

إن معارك داعش الأخيرة وإصراره على فتح جبهات كثيرة وواسعة في وقت واحد، دليل واضح على أنّ داعش يخسر معاركه كما خسر موارد، وإنّ بقاءه في المدن هو مسألة وقت لا أكثر، وبالتالي أرى أنّ معركة الرقة هي بيضة القبان التي ستقرّر مصير داعش في سورية والمنطقة بأكملها، لأنها معركة مصيرية لللاقليم، وهي الاستراتيجية التي أعلنها مؤخرا الرئيس الأسد، لذلك فإنّ اقتحام الرقة من عدة محاور بعد تطويق المدينة لأشهر صمد، يعد إنجازا كبيرا للجيش السوري وحلفائه، لذلك فإنّ الذي يدور على الأرض يجعلني متاكدا أنّ حسم المعركة لم يعد الأمسالة وقت ليس أكثر...

واختتم بالقول إن مشروع الإرهاب سيستقل لاحالة فيما ستبقى أوطاننا صامدة رغم التآمر على سورية، وستبقى سورية صخرة تنكسر فيها وعليها كل أحلام الغزاة....

Khaym1979@yahoo.com

■ محمد ح. الحاج

التنفيذ على الأرض طبقاً للمخطط الموضوع، وهذا بدوره يستند إلى دراسة الواقع ومعطيات الاستطلاع، وطبيعة الميدان... أرض مفتوحة وجنر صغيرة مفتوحة، لكنه جرى تحصينها خلال فترة من الوقت شكلت فرصة كافية لذلك، ألغام في كل مكان... ضمن الأرصعة وعلى جوانب الطرقات وفي كل مكان يخطر ببال الدواعش أنّ الإنسان – العسكري خصوصا سيطرعه أو يعبر منه، وللوهلة الأولى يعتقد المراقب أنّ دولاً بدأتها وفرت لهؤلاء كل هذه الكميات من الألغام والمتفجرات ليمتكنوا بدورهم من حماية خطوطهم والحاق الأذى بألماجمين... مع ذلك كانت الهزيمة.

تقطع الأرض إلى جزر وتطويق للمراكز المهمة، من ثم إسقاطها سياسة أثبتت جدواها، تدمر هي البوابة الأولى والمركز الذي يتحكّم بطرق الإمداد في كل الاتجاهات، غربا حتى جبال لبنان، وشرقاً وجنوباً حتى الحدود العراقية والأردنية، وشمالا إلى الرقة والموصل... فتركيا المنهل الرئيس والمركز الأهم للإمداد اللوجستي، القريتين هي المركز الثاني من حيث الأهمية، لكن سقوط تدمر يحقق نصف المهمة، يسقط الدواعش المتواجدين في القريتين نفسيا ومعنويا ويمهد لهزيمتهم لاحقا، هكذا يستكمل الجيش ومن يدعمه المهمة الثانية بنجاح، تدبّ الفوضى في صفوف الدواعش فيتعثرون في الاتجاهات الفاتحة، باتجاه البادية المفتوحة شرقا ولا مآوى سوى حسنة، أو إلى الشمال قليلا مع سكة القطار وصولا إلى السد الأثري في خريفه وبعض المساكن القديمة في قرية الباردة (الشعلان) أو وصولا إلى البصيرة مركز محطة القطارات التي تتلق الفوسفات من خنيفةس والهوة الشرقية إلى طرطوس عن حصص، وربما تشكل كل المواقع الصغيرة لمجا موقعا لكنه لا يدوم، فالهزيمة الداخلية تدفع بمن لجا من الدواعش للبحث عن ملجأ آمن وهو لن يتوفر في أيّ من المراكز المذكورة، الجيش يتابع وسيجرّز مركزي إنتاج الفوسفات والمدينتين المعاليتين، ولا سبيل إلا اتباع الطرق الصحراوية جنوب غرب تدمر وشرقها بموازاة المحطة الثالثة نحو الرقة أو ريف دير الزور... وهذا التحرك لا بدّ يسبق حركة الجيش بسبب عشوائيته وسرعة الهروب في حين يلتزّم الجيش خطة علمانية للتعّدّم فترات محسوبة لا بدّ من عملية الاستطلاع قبلها.

التكهّئات كثيرة حول وجهة الجيش المقبلة، لكن المنطق يقتضي إجراء عمليات تنظف للبور العراقية على جانبي محور التمدد، لتصل الحدود العراقية في مركز التنف عبر عمشة والسبع بيار، أو مروراً بقرية ثائية تتحكم بطرق وسط الحmad وهي العلبانية ويتواجد فيها الدواعش دون شك، هذا يجب أن يحصل قبل الانطلاق نحو السخنة من أكثر من محور والمتابعة باتجاه دير الزور لملاقاة قوة الجيش المتحرّكة جنوباً وغرباً لتأمين الطريق الدولي باتجاه تدمر – دمشق، من ثم المتابعة بجزء من القوى على محور السخنة – الكوم – الرصافة – الطبقة، وهكذا تصبح الرقة بين فكي الكماشة بحيث لا يقتضي بجزء من الصيف قبل أن تصبح عيون الرقة خضراء ويتقدّم السواد عن مسانها. في العراق تتوارد الأنباء عن سقوط المواقع تباعاً

البناء

ما بعد تدمر - القريتين... انهيار «داعش»!

الغاومة والخبائر، التصميم على هزيمة «داعش» في ذروته، هيت – المخور، مواقع على طريق الموصل تدور على أرضها معارك طاحنة وتبقي الغلبة للقوات العراقية المهاجمة، ويكون السؤال: أيّ نوع من التفكير الضحل والتقديرات السيئة للقادة ما يسمى تنظيم «الدولة الإسلامية» أعطت لهم الدافع والثقة لمحاربة مجموعة من الدول وجيوشها النظامية بما تملك من قوى متفوّقة... وهو إذراع باتجاه الانتصار... إلا أنّ يكون عملاً وظليفا متقنا، يدرك من يومه به أنّ نهايته الموت، لكن بعد القيام بأقصى درجات التخريب وأقلع عمليات القتل والتفكيك، التخريب بما يودي بالاقتصاد الوطني للدول المستهدفة وتخريب مجتمعاتها، والقتل والتفكيك لدفعها إلى الاستسلام وقبول مشاريع طرحها الغرب جوهرها الوصاية على أنها طريق الخلاص من حجبها ما يحصل، رغم إدراك الغالبية من قادة وشعوب المنطقة أنّها لعبة الغرب من الأساس لخدمة قضية وحيدة جوهرها المشروع الصهيوني.

بعض المحللين المتنبئين يقول أنّ توجه الجيش نحو دير الزور مسموح، ولن يلقي معارضة التحالف الغربي بقيادة أميركا، لكن الأمر لا ينطبق على الرقة، ويتابع أنّ مخطط التفاهم (الروسي – الأميركي) يسمح للأخير بدفع قوات محلية متحالفة معه (قوات سورية العلمانية) بقيادة ضباط أميركان ومشاركة قوات من النخبة باتجاه الرقة قبل اقتراب الجيش السوري منها، لتكون ملحقه بقيدارية الشمال التي يدعمها الأميركيون،

بعض المحللين المتنبئين يقول أنّ توجه الجيش نحو دير الزور مسموح، ولن يلقي معارضة التحالف الغربي بقيادة أميركا، لكن الأمر لا ينطبق على الرقة، ويتابع أنّ مخطط التفاهم (الروسي – الأميركي) يسمح للأخير بدفع قوات محلية متحالفة معه (قوات سورية العلمانية) بقيادة ضباط أميركان ومشاركة قوات من النخبة باتجاه الرقة قبل اقتراب الجيش السوري منها، لتكون ملحقه بقيدارية الشمالية التي يدعمها الأميركيون،

بعد تدمر... هل تتوجه العمليات العسكرية إلى الرقة ودير الزور أم إدلب؟

العمليات العسكرية في سورية تشهد تحولاتاً كبيرة، فمنذ سقوط تدمر، لم يبقَ في سورية سوى دير الزور والرقة، فالتوجه فوراً نحو تحرير الرقة، فالمرجح أن يسبق الشروع في عملية كهذه، تحرير دير الزور وإدلب، بانتظار التوجه نحو الرقة في معركة متزامنة مع معركة تحرير الموصل، ذلك أنّ الرقة هي مدينة كبرى، خلافاً لتدمر، وهي عاصمة لتنظيم «الدولة الإسلامية - داعش»، ومن المرجح أنّ المخططين في تلك الدولة، قد اتخذوا الكثير من الإجراءات العسكرية والأمنية، لمواجهة هجوم يستهدفها. فلا بدّ إذن، نتيجة تحليل منطقي، أن تتزامن عملية تحريرها، مع عملية تحرير الموصل، لوجود احتمالات مرجحة، بأن تعجز «داعش» عن خوض معارك كبرى في مدينتين كبيرتين تواجهان هجوعين متزامنين في آن واحد. وتقول وكالة «انترفاكس» إنّ روسيا والولايات المتحدة تتحان معاً سبل التنسيق لتحرير الرقة، دون إيراد ذكر لتحرير الموصل معها في آن واحد.

ولكن طرح احتمال التوجه السوري الروسي على عجل إلى الرقة، والذي تردد في الأخبار وعلى لسان بعض المحللين، لم يكن هو الوضع الوحيد غير الواقعي الذي تردّد على لسان البعض، فقد جمع تفكير أولئك، إلى حدّ القول بأنّ تحرير مدينة تدمر الأثرية، والذي شكّل ضربة مميزة أنزلها الجيش السوري، وحلفاؤه بتنظيم «داعش»، لم يكن نتيجة معركة عسكرية حقيقية. فدمر، كما ادّعى البعض، لم تحرّر، بل سلمت تسليماً من داعش إلى الجيش السوري، كما قامت الحكومة السورية قبل عدة شهور بتسليمها هدية لداعش!

أنا لا أعلم أيّ عقل مريض يطرح تحليلاً كهذا، وكأنه لم يسمع بمعركة استمرت ثلاثة أسابيع، واحتاجت إلى مئات الإغارات على مواقع داعش المتواجدة في تدمر، مما اضطر مقاتليه لتنظيم الإزهايي أخيراً إلى الاستسلام

والانسحاب من المدينة إلى أريافها. أما القائل بأنّ تدمر كانت أصلاً قد سلمت بشكل رضائي من الحكومة السورية إلى داعش في عام 2015، فهو لا يقرأ

ولا يتابع مجريات الأحداث في كل المرحلة التاريخية من تطورات الحرب في سورية. فسقوط تدمر في أيدي داعش، جاء بعد فترة لا تكن طويلة على سقوط محافظة إدلب في أيدي «جبهة النصرة»، وسقوط جسر الشحور ومواقع أخرى استطاعت المعارضة المسلحة، بسبل عملياتها «المعتدلة»

منها والتكفيرية، من السيطرة عليها...

إذن يقولون بهذا وذلك، لم يلاحظوا أنّ سقوط تدمر، قد جاء بعد سقوط إدلب تحت سماع وظفر التحالف الأميركي الساعى، كما تقول قياداته، لمحاربة الإرهاب... لكن دون أن يحرك ساكناً للحيلولة دون سقوطها (إدلب وتدمر)، كما سعى في نهايات عام 2014 بكلّ قوته، دون سقوط كواني (عين العرب) في أيدي داعش، وقد نجحوا فعلاً في الحيلولة دون سقوطها، مما يعني تواجّد القدرة لديهم، لو شاؤوا، للحيلولة دون سقوط تدمر في أيدي داعش في عام 2015، وقبلها الحيلولة دون سقوط إدلب في أيدي جبهة النصرة.

فهذا التكوّل الأميركي في هاتين الحالتين، رغم وجود القدرة لتغيير مجرى الأحداث لدى الأميركيين، قد رجّح تصميم الإدارة الأمريكية التي تقود التحالف الدولي ضدّ الإرهاب، على إضعاف الدولة السورية الرسمية (حتى ولو قاد الأمر إلى تعزيز موقف التكفيريين الإرهابيين الذين تدعي مقاتلتهم). فهذا التطور الذي بلغ ذروته في سقوط تدمر في أيدي داعش، هو الذي استدعى التدخل الروسي المباشر في المعركة السورية.

فتحريز تدمر إذن، لم يكن قط عملية تسليم وتسلم، بل كان مفصلاً في مجريات الأحداث، فرض وجوب التدخل الروسي الذي غيّر مجرياتها في اتجاه معاكس لنوايا الإدارة الأمريكية الساعية، لا لإيقاف الحكومة السورية فحسب، بل ويسعى أيضاً، إلى إلغاء التواجد الروسي مستقبلاً حتى في طرطوس، التي تواجدهت السفن الروسية فيها منذ زمن بعيد. فسقوط تدمر في عام 2015، قبلها إدلب، كانا بمثابة بداية إعلان حرب أميركية مباشرة وواضحة، لا على الحكومة السورية بقيادة الرئيس الأسد فحسب، بل كانت بمثابة إعلان حرب غير معلنة رسمياً، على التواجد الروسي في سورية، مما اضطر روسيا لاعتبارية التي تلطلعت منذ العهد القيصري، للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، لتعزيز وجودها في سورية لحماية الحكومة السورية الصديقة من السقوط، ولحماية مصالحها المتعقدة بالتواجد في طرطوس، والمهيدة أيضاً بتلوّغ أكثر من ألفي روسي شيشاني، للمقاتلة في صفوف المعارضة الجهادية التكفيرية، ويتوقع أنّ تشكل مستقبلاً تهديداً آخر للأمن الروسي الداخلي.

إذن لم يكن سقوط تدمر في أيدي التكفيريين الإرهابيين في عام 2015، عملية تسليم سوري رضائي لداعش، فهذا الافتراض من قبل البعض، هو افتراض سخيف ولا يستند إلى المنطق وحقائق الأمور، ومنه الافتراض بأنّ التوجه القليل سوف يكون نحو الرقة، فالرقة كونها عاصمة «داعش»، ومعززة عسكرياً بشكل قد يكون متميّزاً، يحتاج تحريرها إلى جهد كبير، وقد لا تكون عملية تحريرها منفصلة، بل متصلة بعملية تحرير الموصل في آن واحد، وفي معركة متزامنة تخوضها



هؤلاء التي تلقيهم أوامر خارجية من مشغليهم الذي فقدوا أغلب أوراق التفاوض، واعتقادهم أنّ ممارسة الضغط من جديد على الجيش السوري سيدفع بالمفاوض في جنيف إلى القبول بورقة دي ميستورا الملغومة، والتي تفرض على الدولة السورية شروطاً لم يستطع العدوان فرضها ومنها الالتزام بمواقف الدول العربية على أنها موقف عربي تجاه العدو، الإنكي إلزام الدولة بموقف يتضمّن العمل على استعادة الجولان عن طريق التفاوض فقط...! ويريدنا أنّ ننسى قول بعض قادة العدو الصهيوني ومنهم شامير أنه سيعمل على أن تمتدّ المفاوضات لمائة عام... والسؤال: إذا كانت القوانين الدولية والأعراف تضمن لصاحب الأرض المحتلة حقه في استخدام كل الوسائل لاسترجاع أرضه، فلماذا يعمل دي ميستورا ومن وراءه على سلب سورية هذا الحق، وهنا من حقّ الشعب السوري معرفة أنّ دوافع الحرب على مدى هذه السنوات بادواتها السورية والعربية والدولية كانت ولما تزال لتحقيق هذا الهدف، وبما أنها فشلت في ذلك، فلماذا يلتزّم المفاوض الحكومي السوري بورقة المبعوث الدولي فينتازل يمثل هذه البساطة عن حقوقه، ولماذا يطالب بذلك ويصرّ عليه أطراف المعارضة المسلحة الخارجية، وليس مثل هذا الموقف إثباتاً للغايات والأهداف التي قاموا لإجلها بما أسموه «ثورة» فيما هي مجرد وظيفة يستثمرون بها إلى أقصى الحدود... وقد فعلوا حتى الآن، وسيستمرّ الفشل لأنّ من يصوغ القرار ويفرضه هو جيشنا السوري البطل والقوى الرديفة له... وهيهات منا الهزيمة.

ويبدل على صحة هذا الطرح بالقول إنّ الروس لا يرفضون الفيدرالية وسحبوا للجانب الكردي يفتح مكتت تمثيلي لهم في موسكو، البعض يرى أنّ هذا مجرد استنتاج يجانب الحقيقة، الواقع إذ لا يعبر الروسي الأمر اهتمامه فهو لا يستحق، ويعلم أنّ الأهم الحفاظ على الدولة بمقوماتها ودون تقسيم، كيف يستقيم الموقف من قبول الفيدرالية وهي نوع من التقسيم ترفضه الدولة السورية... القدرة هي رغبة صهيو – أميركية، أن يسكت عنها الروسي فيسبب الأولويات لكنه لا بدّ يأخذ بوجهة النظر الحكومية السورية وقرار الشعب بهذا الخصوص. الأمر نفسه ينطبق على الواقع العراقي مع فارق كبير في وضوح الموقف الأميركي إلى جانب البرزاني، وهو موقف صهيوني، ولا تأثير لنفوذ روسي هناك كما هو في الشام، بينما يقتصر التنسيق على تعاون استخباري – أمني دون أيّ مشاركة فعلية كما هنا.

التنظيمات بمختلف سمّياتها في المنطقة الشمالية (حلب – ادلب) التي وافقت على شروط الهدنة، وبعضها لم يلتزّم، شعرت بخطر وتأثير هزيمة «داعش» في تدمر والقريتين على مستقبلها، فخرق أغلبها الهدنة معتقدا أنّ القوات العسكرية المحيطة بهم في حالة استرخاء، وربما حققت مفاجأة في بعض مناطق حلب ودخلت بعض المواقع إلى حين، ما دفع بالجيش السوري إلى إعلان تنصله من التزام هدنة خرقها الآخرون، وهكذا تعود العمليات إلى وتيرتها السابقة وتؤكد أنّ يد الجيش هي العليا، وربما يعود خرق الهدنة من قبل

بعد تدمر... هل تتوجه العمليات العسكرية إلى الرقة ودير الزور أم إدلب؟

العمليات العسكرية في سورية تشهد تحولاتاً كبيرة، فمنذ سقوط تدمر، لم يبقَ في سورية سوى دير الزور والرقة، فالتوجه فوراً نحو تحرير الرقة، فالمرجح أن يسبق الشروع في عملية كهذه، تحرير دير الزور وإدلب، بانتظار التوجه نحو الرقة في معركة متزامنة مع معركة تحرير الموصل، ذلك أنّ الرقة هي مدينة كبرى، خلافاً لتدمر، وهي عاصمة لتنظيم «الدولة الإسلامية - داعش»، ومن المرجح أنّ المخططين في تلك الدولة، قد اتخذوا الكثير من الإجراءات العسكرية والأمنية، لمواجهة هجوم يستهدفها. فلا بدّ إذن، نتيجة تحليل منطقي، أن تتزامن عملية تحريرها، مع عملية تحرير الموصل، لوجود احتمالات مرجحة، بأن تعجز «داعش» عن خوض معارك كبرى في مدينتين كبيرتين تواجهان هجوعين متزامنين في آن واحد. وتقول وكالة «انترفاكس» إنّ روسيا والولايات المتحدة تتحان معاً سبل التنسيق لتحرير الرقة، دون إيراد ذكر لتحرير الموصل معها في آن واحد.

ولكن طرح احتمال التوجه السوري الروسي على عجل إلى الرقة، والذي تردد في الأخبار وعلى لسان بعض المحللين، لم يكن هو الوضع الوحيد غير الواقعي الذي تردّد على لسان البعض، فقد جمع تفكير أولئك، إلى حدّ القول بأنّ تحرير مدينة تدمر الأثرية، والذي شكّل ضربة مميزة أنزلها الجيش السوري، وحلفاؤه بتنظيم «داعش»، لم يكن نتيجة معركة عسكرية حقيقية. فدمر، كما ادّعى البعض، لم تحرّر، بل سلمت تسليماً من داعش إلى الجيش السوري، كما قامت الحكومة السورية قبل عدة شهور بتسليمها هدية لداعش!

أنا لا أعلم أيّ عقل مريض يطرح تحليلاً كهذا، وكأنه لم يسمع بمعركة استمرت ثلاثة أسابيع، واحتاجت إلى مئات الإغارات على مواقع داعش المتواجدة في تدمر، مما اضطر مقاتليه لتنظيم الإزهايي أخيراً إلى الاستسلام والانسحاب من المدينة إلى أريافها. أما القائل بأنّ تدمر كانت أصلاً قد سلمت بشكل رضائي من الحكومة السورية إلى داعش في عام 2015، فهو لا يقرأ ولا يتابع مجريات الأحداث في كل المرحلة التاريخية من تطورات الحرب في سورية. فسقوط تدمر في أيدي داعش، جاء بعد فترة لا تكن طويلة على سقوط محافظة إدلب في أيدي «جبهة النصرة»، وسقوط جسر الشحور ومواقع أخرى استطاعت المعارضة المسلحة، بسبل عملياتها «المعتدلة»

منها والتكفيرية، من السيطرة عليها... إذن يقولون بهذا وذلك، لم يلاحظوا أنّ سقوط تدمر، قد جاء بعد سقوط إدلب تحت سماع وظفر التحالف الأميركي الساعى، كما تقول قياداته، لمحاربة الإرهاب... لكن دون أن يحرك ساكناً للحيلولة دون سقوطها (إدلب وتدمر)، كما سعى في نهايات عام 2014 بكلّ قوته، دون سقوط كواني (عين العرب) في أيدي داعش، وقد نجحوا فعلاً في الحيلولة دون سقوطها، مما يعني تواجّد القدرة لديهم، لو شاؤوا، للحيلولة دون سقوط تدمر في أيدي داعش في عام 2015، وقبلها الحيلولة دون سقوط إدلب في أيدي جبهة النصرة.

فهذا التكوّل الأميركي في هاتين الحالتين، رغم وجود القدرة لتغيير مجرى الأحداث لدى الأميركيين، قد رجّح تصميم الإدارة الأمريكية التي تقود التحالف الدولي ضدّ الإرهاب، على إضعاف الدولة السورية الرسمية (حتى ولو قاد الأمر إلى تعزيز موقف التكفيريين الإرهابيين الذين تدعي مقاتلتهم). فهذا التطور الذي بلغ ذروته في سقوط تدمر في أيدي داعش، هو الذي استدعى التدخل الروسي المباشر في المعركة السورية.

فتحريز تدمر إذن، لم يكن قط عملية تسليم وتسلم، بل كان مفصلاً في مجريات الأحداث، فرض وجوب التدخل الروسي الذي غيّر مجرياتها في اتجاه معاكس لنوايا الإدارة الأمريكية الساعية، لا لإيقاف الحكومة السورية فحسب، بل ويسعى أيضاً، إلى إلغاء التواجد الروسي مستقبلاً حتى في طرطوس، التي تواجدهت السفن الروسية فيها منذ زمن بعيد. فسقوط تدمر في عام 2015، قبلها إدلب، كانا بمثابة بداية إعلان حرب أميركية مباشرة وواضحة، لا على الحكومة السورية بقيادة الرئيس الأسد فحسب، بل كانت بمثابة إعلان حرب غير معلنة رسمياً، على التواجد الروسي في سورية، مما اضطر روسيا لاعتبارية التي تلطلعت منذ العهد القيصري، للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، لتعزيز وجودها في سورية لحماية الحكومة السورية الصديقة من السقوط، ولحماية مصالحها المتعقدة بالتواجد في طرطوس، والمهيدة أيضاً بتلوّغ أكثر من ألفي روسي شيشاني، للمقاتلة في صفوف المعارضة الجهادية التكفيرية، ويتوقع أنّ تشكل مستقبلاً تهديداً آخر للأمن الروسي الداخلي.

إذن لم يكن سقوط تدمر في أيدي التكفيريين الإرهابيين في عام 2015، عملية تسليم سوري رضائي لداعش، فهذا الافتراض من قبل البعض، هو افتراض سخيف ولا يستند إلى المنطق وحقائق الأمور، ومنه الافتراض بأنّ التوجه القليل سوف يكون نحو الرقة، فالرقة كونها عاصمة «داعش»، ومعززة عسكرياً بشكل قد يكون متميّزاً، يحتاج تحريرها إلى جهد كبير، وقد لا تكون عملية تحريرها منفصلة، بل متصلة بعملية تحرير الموصل في آن واحد، وفي معركة متزامنة تخوضها

* مستشار في المركز الأوروبي العربي لمكافحة الإرهاب – برلين

عضو في مركز الحوار العربي الأميركي – واشنطن

عضو في صوت اللاجئين الفلسطينيين